مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية
المجلد 18 العدد 3 (السداسي الثاني 2026)
ص. 907 – 942

مقومات الأسرة الرسالية بين القرآن والسنة

"The Pillars of the Missionary Family In the Quran and the Sunnah"

د. سامية ديبي
جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية (الجزائر)
sa.dibi@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/17 تاريخ القبول: 2026/07/12 تاريخ النشر: 2026/09/28

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى بيان مقومات الأسرة الرسالية كما عرضها القرآن والسنة، اللذان اختارهما خالقُنا منهجًا نهتدي به في حياتنا، لنحقق بهما سعادتنا في الدنيا ونجاتنا في الآخرة. وبما أن الأسرة تُعدّ الحاضنةَ الأولى للقيم الإسلامية، والأساسَ الذي تقوم عليه حياةُ الفرد والمجتمع، فإن الالتزام بتوجيهات القرآن والسنة داخلها يصبح ضرورةً ملحّةً، مما يدفعنا إلى التساؤل: ما مقومات الأسرة المسلمة التي تُسهم في بناء أسرة رسالية قادرة على تحمّل أعباء الإسلام؟

تناولتُ هذا الموضوعَ وفقَ المنهجِ الموضوعي، حيث تتبعتُ أهمَّ الآياتِ والأحاديثِ الواردةِ فيه؛ لمعرفةِ كيف عالجتْه، مما أسفرَ عن خمسةِ محاورَ، سبقَها مدخلٌ تمهيديٌّ بيّنتُ فيه معنى الأسرةِ الرساليةِ والمقوماتِ. وهذه المحاورُ هي: محورُ المقوماتِ النفسيةِ، ومحورُ المقوماتِ الاعتقاديةِ، ثم محورُ المقوماتِ الاجتماعيةِ، ومحورُ المقوماتِ الماليةِ، وخُتِمَ بمحورِ المقوماتِ الأخرويةِ. وقد توصّلَ البحثُ إلى نتائجَ وتوصياتٍ عمليةٍ تُسهم في تنشئةِ أسرةٍ رساليةٍ قادرةٍ على خدمةِ المجتمعِ وتحقيقِ غايتِها الشرعيةِ.

الكلمات المفتاحية : الأسرة الرسالية، المقومات النفسية، المقومات الاعتقادية، المقومات الاجتماعية، المقومات المالية، المقومات الأخروية.

Abstract:

This article aims to outline the essential foundations of the missionary family as presented in the Quran and the Sunnah, which our Creator has chosen for us as a guiding way of life, so that through them we may achieve happiness in this world and salvation in the Hereafter. Since the family is considered the primary nurturing environment for Islamic values and the foundation upon which the life of both the individual and society is built, adherence to the guidance of the Quran and the Sunnah within it becomes an urgent necessity. This leads us to ask: What are the foundations of the Muslim family that contribute to building a missionary family capable of bearing the responsibilities of Islam?

This study addresses the topic through a thematic (mawḍui) approach, by examining the most relevant Quranic verses and Prophetic hadiths in order to understand how the issue is treated. This has resulted in the identification of five main axes, preceded by an introductory section in which the concept of the missionary family and its foundational components are clarified. These axes are: psychological foundations, doctrinal (creedal) foundations, social foundations, financial foundations, and, finally, eschatological foundations. The study concludes with findings and practical recommendations that contribute to the development of a missionary family capable of serving society and fulfilling its prescribed purpose.

Keywords: Missionary family, psychological foundations, doctrinal foundations, social foundations, financial foundations, eschatological foundations.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الأسرة في التصور الإسلامي هي النواة الأولى لبناء المجتمع، والركيزة الأساس في حفظ القيم وترسيخها، إذ تتكوَّن في كنفها معالم الشخصية الإنسانية، وتتشكل ملامح الانتماء العقدي والسلوكي.

وقد اعتنى القرآن الكريم والسنة النبوية عناية بالغة ببيان الأسس التي تقوم عليها الأسرة الرسالية، وحددا مقوماتها المختلفة، ورسما معالم منهجها في البناء والتوجيه، بما يضمن لها الاستقامة والاستمرار في أداء وظيفتها الحضارية. فالأسرة في هذا الإطار ليست مجرد رابطة اجتماعية، بل هي مؤسسة تربوية دعوية، تتكامل فيها الأدوار، وتتوازن فيها الحقوق والواجبات، في ظل مرجعية الوحي.

وانطلاقًا من هذا الانشغال، يأتي هذا المقال ليسلط الضوء على مقومات الأسرة الرسالية كما قررها القرآن الكريم وبيَّنتها السنة النبوية، سعيًا إلى إبراز الأسس التي تضمن لها تحقيق غاياتها، والمساهمة في بناء أسرة واعية برسالتها، قادرة على المشاركة في نهضة المجتمع وصيانة هويته.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا المقال حول التساؤل الرئيس الآتي:
ما المقومات التي تُسهم في بناء الأسرة الرسالية كما قررها القرآن الكريم والسنة النبوية؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات، من أبرزها:
-ما مفهوم الأسرة الرسالية وما معنى المقومات؟
-ما أهم المقومات النفسية والعقدية والاجتماعية والمالية والأخروية التي تقوم عليها الأسرة؟
-كيف أسهمت النصوص الشرعية في ترسيخ هذه المقومات؟

أهداف البحث:

يسعى هذا المقال إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها:
-بيان مفهوم الأسرة وضبطه اصطلاحًا في ضوء النصوص الشرعية، لمواجهة التحولات الخطيرة.

-استنباط المقومات الأساسية للأسرة الرسالية من القرآن الكريم والسنة النبوية.
-إبراز أهم الاسقاطات الواقعية لهذه المقومات.
-الإسهام في توجيه الخطاب الأسري نحو تحقيق الوظيفة الرسالية للأسرة.

منهجُ الدراسة ومنهجيتُها:

اتبعتُ في هذا المقال المنهجَ الموضوعيَّ، بما يقتضيه من استقراءٍ وإحصاءٍ وتحليلٍ واستنباطٍ،حيث جمعتُ الآياتِ والأحاديثَ التي تخدم الموضوعَ، وصنّفتُها في مجموعاتٍ تحت عناوينَ محددةٍ مثّلتْ خطةَ البحثِ بعد ذلك، ثم استنبطتُ منها ما يحتاجه الموضوعُ من معلوماتٍ بعد تحليلِها، لأسجّلَ أهمَّ النتائجِ في النهاية.

خطة البحث:

تناولتُ هذا الموضوع وفق الخطة التالية:

مقدمة .

مدخل: تطرقت فيه إلى مفهوم الأسرة، موضّحتا تعريفها والرابطة التي تقوم عليها، ومعنى الرسالية، ومفهوم المقومات مع بيان معناها وأنواعها .

المحور الأول: تناولت فيه أهم مقومات الأسرة النفسية .

المحور الثاني: تعرضت فيه لأهم المقومات الاعتقادية للأسرة .

المحور الثالث: استنبطت فيه أهم مقومات الأسرة الاجتماعية .

المحور الرابع: تتبعت فيه أهم المقومات المالية التي تقوم عليها الأسرة .

المحور الخامس: تقصيت فيه أهم مقومات الأسرة التي تنجيها في الآخرة .

خاتمة .

وتفصيل هذه الخطة فيما يلي، نسأل الله التوفيق والسداد.

مدخل: مفهوم الأسرة الرسالية والمقومات

لم يرد في القرآن الكريم لفظُ "الأسرة" ولا "العائلة"، بل وردت ألفاظٌ أخرى مثل: "الأهل"، و"العشير"، و"العشيرة"، و"الأزواج"، و"البنين"، و"الحفدة"، وهي جميعها تصب في معنى واحد، وهو أقارب الإنسان من أهل بيته، أي أسرته أو عائلته. لكن، ما تعريف الأسرة في الإسلام؟ وما الرابطة التي تقوم عليها؟ وما مقوماتها؟

أولا – مفهوم الأسرة

رغم أن لفظ الأسرة لم يرد في القرآن، إلا أنه درج استخدامه في المجتمع المسلم، فما معناه؟ وما الرابطة التي تبنى بها الأسر في الإسلام؟

1-تعريف الأسرة

لمعرفة معناها نقف بعجالة عند كل من المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في الإسلام.

أ-تعريف الأسرة لغة: عشيرة الرجل، ورهطه الأقربون، وسُميت الأسرة بهذا الاسم لأنَّها تعني القوة، ويتقوّى بها الرجل، حيث تعد الأسرة الدرع الحصين، وجمعها أُسر[1].

ب-تعريف الأسرة اصطلاحا: الوحدة الاجتماعية التي تحفظ النوع الإنساني كله، وتتألف الأسرة من رجل وامرأة يرتبطان معاً برباط جامع بينهما[2]، في الإسلام وكثير من الديانات يسمى هذا الرابط بالزواج.

وتتكوَّن الأسرةُ في الإسلام من الزوج والزوجة، بخلاف الدعوات المنحرفة الهدَّامة التي تجعل الأسرة القانونية من الجنس المتماثل: رجلًا ورجلًا، وامرأة وامرأة؛ فهي أسرة تتكون من المساحقات ومن اللواطيين ممن يشذون عن الفطرة السليمة.

فالأسرة في الإسلام تنشأ من ذكر وأنثى يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ {الحجرات 13}، وإن شاء الله جعل من هذين الزوجين بنين وحفدة ليصبحوا رجالا ونساء بل شعوبا وقبائل يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾

[1]. ينظر كل من الزبيدي: تاج العروس13/3، الجوهري: معجم الصحاح 579/2، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة 107/1.

[2]. ينظر وهبة الزحيلي: الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، ص20.

{النحل: 72} وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ {النساء: 1} وقد لا يقدر الله ذلك، بل يكتب العقم بمشيئته على من يشاء لحكمة يعلمها سبحانه، قد تكون العبرة منها أن على الإنسان عبادة الله على كل أحواله وفي كل ظروفه لأنه ما خلقه إلا لعبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ {الذاريات: 56}، وما أوجد الله نظام الأسرة إلا لتمكين أفرادها من عبادته سبحانه.

نشير هنا أن هذا التعريف القاعدي لكل أسرة، يتناسب مع كل حالاتها، ولا يتنافى مع كون الأسرة تحتضن الأطفال، والأجداد والجدات، أو أن أحد الوالدين قد فارق الأسرة بأحد الأسباب كالوفاة أو الطلاق.

2-الرابط في الأسرة

أصل الأسرة في الإسلام هو الزواج[3]، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: 72]، فالزواج هو العقد السليم الذي تقوم عليه الأسرة التي هي أساس المجتمع، وهي اللَّبِنة الأولى والخليَّة الأولى، التي انطلق منها بناء المجتمع المسلم، وأول أسرة مسلمة هي أسرة الرسول.ﷺ.تكونت من النبي.ﷺ.وخديجة أم المؤمنين.ﷺ.فكانت محضن الدعوة لدين الله وقدوة كل الأسر.

لم يشَأ الله سبحانه أن يسويَ الإنسان بغيره من العوالِم الأخرى، فيَدَعه لغرائزه دون وعي، ويترك العلاقات بين الذكور والإناث فوضى لا ضابط لها، بل وضع النظام المميز لقيمة الإنسان ولسيادته، والذي من شأنه أن يحفظ مكانته وشرفه ويصون كرامته، فجعل اتِّصال الرجل بالمرأة كريمًا مبنيًّا على رابطة وثيقة وميثاق غليظ يقوم على رضاهما، وعلى إيجابٍ وقَبول كمَظهرينِ لهذا الرضا، وعلى إشهادٍ، على أن كلًّا منهما قد أصبح للآخر وبمباركة ورضا الأولياء وعِلم المجتمع بتكَون نبع جديد يشع منه نور العفاف والطهر.

ثانيا- مفهوم الأسرة الرسالية

لا يمكن تخطي الحديث عن الأسرة دون الوقوف عند صفتها وهي الرسالة، فالأسرة الرسالية ليست مجرد محضن للسكن والمبيت، بل هي مدرسة لإعداد أجيال تحمل رسالة

[3]- ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 137/10.

الإسلام، وهو ما أشار إليه يوسف القرضاوي، حين أكد على ضرورة ألا يعيش الفرد لنفسه بل لأمته[4]، وهو ما أكد عليه سعيد حوى بالإشارة إلى مهمة الإنسان في هذه الحياة[5]، فوعي الإنسان بوظيفته الإستخلافية المنوطة به، تجعله يحس بضرورة ربط كل حياته بمقاصد الشريعة ودوره الإصلاحي في الحياة، وهو ما ينطلق من أسرة رسالية تحمل القيم الإسلامية، وتتشبع بمبادئ لإصلاح الفرد والمجتمع[6]، فما الرسالة في اللغة والاصطلاح؟

1- تعريف الرسالية لغة

عند الرجوع إلى المعاجم اللغوية لا نجد لفظ الرسالية، ولكن نجد أصلها وهو رسل الذي قال عنه ابن فارس أنه يدل على الانْبِعَاثِ والامْتِدَادِ[7] وجاء في المعجم الوسيط أن معنى الرسالة ما يرسل، والخطاب، والكتاب المشتمل على مسائل، كما تطلق على رسالة الرسول مما أمر بتبليغه عن الله، ودعوته الناس إلى ما أوحى إليه[8]

وعليه فما جاء به الرسول رسالة، فيكون معنى الرسالي من يحمل هم الرسالة وأعباءها.

2- تعريف الرسالية اصطلاحا

كما سبق وذكرت، لم أقف على تعاريف للفظ لغة أو اصطلاحا، وهو ما جعلني أقول أن الرسالية تحمل لأعباء الرسالة ووعي بها.

وعليه **فالأسرة الرسالية** أسرة تؤدي وظائفها على وعي برسالتها الإيمانية والتربوية لتخرج أفرادا صالحين مصلحين.

ثالثا –مفهوم المقومات

تُعد الأسرة حجر الأساس في بناء المجتمع، فهي البيئة الأولى التي يتلقى فيها الإنسان المبادئ والقيم والتصورات حول الحياة والدين والعلاقات. وفي ظل التحديات المعاصرة، والتغيرات الاجتماعية والفكرية التي تواجه الأسرة المسلمة، تبرز الحاجة الملحة إلى التأكيد على المرجعية الإسلامية كضابط ومنهج يحفظ للأسرة تماسكها ووظيفتها الرسالية، لكن قبل التفصيل في هذه المقومات نقف أولا عند معنى المقومات وأنواعها في الأسرة من خلال القرآن والسنة.

[4]- ينظر يوسف القرضاوي: فقه الدعوة إلى الله ص 21.

[5]- ينظر سعيد حوى: جند الله ثقافة وأخلاقا ص 35.

[6]- ينظر محمد علي الحسني الهاشمي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة ص 230- 26

[7]- ينظر ابن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة رسل.

[8]- ينظر مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط مادة رسل.

1-تعريف المقومات

لمعرفة معناها لبد من طرق باب اللغة والاصطلاح.

أ-تعريف المقومات لغة: المقومات مفردها مقوم، مأخوذ من القوَام، ويعني عماده الذي يقوم به، وقوام كل شيء ما استقام به[9].

ب-تعريف المقومات اصطلاحا: مجموع الأسس التي يقوم عليها الشيء ويتحقق بها وجوده واستمراره[10].

ومنه فمقومات الأسرة هي مجموع الأسس التي تنبني عليها الأسرة، ويتحقق بها وجودها واستمرارها واستقرارها

2- أنواع المقومات في الأسرة

لم يُترك الإنسان دون توجيه، فلقد أنزل له الله تعالى كتابه الكريم، وبعث نبيه عليه الصلاة والسلام ليكون قدوة له، وجعل من القرآن والسنة مرجعية ثابتة يرجع إليها المسلم في كل جوانب حياته، وعلى رأسها شؤون الأسرة. فإذا أردنا تناول مقومات الأسرة ومعرفتها فإن هذا يكون من خلال تأصيل فكري وشرعي مستمد من نصوص الوحيين، وهما الوحيدان القادران على تحقيق الاستقرار داخل الأسرة لكونهما يتميزان بالثبات والشمول والرحمة والواقعية.

عند الرجوع إلى آيات القرآن العظيمة نجدها بينت لنا أسرار قيام الأسر الناجحة المتماسكة التي تنتج أولادا أسوياء صالحين نافعين لمجتمعاتهم وهذه المقومات حسب القرآن تدور في أطر متنوعة تحيط بجميع نواحي حياة الإنسان، وهو ما تؤكده مجموعة من الأحاديث سنقف معها في مواضعها لتبين لنا مجموعة من المقومات التي رعت الأسرة من جوانب مختلفة منها: مجال المقومات النفسية والمقومات العقدية والمقومات الاجتماعية والمقومات المالية والمقومات الأخروية، ولوكان المقام متسعا لبسط أكثر لربما أحصينا مجالات أخرى كالسياسي مثلا فما مضمون هذه المقومات في القرآن والسنة؟

[9] ينظر ابن منظور: لسان العرب 504/12.

[10] ينظر عبد الكريم بكار: معجم المصطلحات التربوية والنفسية مادة قوم، مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مادة قوم.

المحور الأول: المقومات النفسية

يُعد الأمان النفسي من أبرز الركائز التي تقوم عليها الشخصية المتوازنة في الإسلام، إذ لا يمكن للفرد أن ينمو سليم النفس، متزن التفكير، قوي الإرادة، ما لم يشعر بالأمن الداخلي، وقد حرص الإسلام على ترسيخ هذا النوع من الأمان، فجعلها من أهداف الزواج ومما يؤسس لبيئة مستقرة تسمح للفرد بالتطور والنمو.

إن الشخصية المسلمة التي تنشأ في بيئة آمنة نفسيًا تكون أكثر قدرة على تلقي التوجيهات الدينية والتفاعل الإيجابي مع القيم الإسلامية، كما تكون أكثر استعدادًا لتحمّل المسؤولية والقيام بالواجبات الشرعية والأسرية. فغياب الأمان يؤدي إلى اضطرابات سلوكية وفكرية، قد تنعكس في شكل انحرافات أو انسلاخ عن الهوية. ومن هنا، فإن تأمين الجو النفسي داخل الأسرة يُعد من أهم عوامل بناء شخصية مسلمة سوية، وفاعلة في محيطها، ومتصلة بخالقها، وتجسد هذا الأمان فيما حددته الآيات الكريمة والأحاديث من سكينة ومودة ورحمة فما النظرة القرآنية لكل منها؟

أولا- السكينة:

السكينة من أهم العناصر التي ركزت عليها الآيات القرآنية، فما المقصود بالسكينة؟

1-السكينة لغة: الطمأنينة والاستقرار والرزانة والوقار[11].

2-السكينة اصطلاحا: قال عنها ابن القيّم: (هي الطُّمَأنِينة والوَقَار والسُّكون، الذي ينزِّله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدَّة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوَّة اليقين والثَّبات)[12].

فالسكينة شعور داخلي، يودعه الله قلوب عباده نتيجة إيمانهم ويقينهم وثباتهم، ومن آيات الله في خلقه أن جعل نبع هذه السكينة الأسرة المستقرة، ولقد بلغت درجة الاستقرار والسكينة فيها مجيء اللفظ القرآني بقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: 21]، فأي راحة أكثر من راحة الانسان مع نفسه وأي هدوء واستقرار أكثر من ذلك، وهذا أساس مهم ليجعل الأسرة مستعدة لتحتضن أطفالا أسوياء من أبوين مستقرين وساكنين.

[11]. ينظر ابن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة سكن

[12]. ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين 332/3.

قال محمد الهلال عند تفسيره لهذه الآية: "﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم:21]بالزواج الشرعي، اللام: لام التّعليل والتّوكيد، تسكنوا إليها: والسكن من السكون؛ أي: الراحة، وسكن إليه؛ أي: استأنس به واستراح إليه واطمأن به، وتعني: السكن في دار واحدة والعيش معاً، والسكن يعني: الراحة ووقوف الحركة، والسكون لتسكنوا إليها؛ أي: تميلوا إليها وتألفوها، أو ليأوي إليها وبما فيها من معنى السكينة النفسية والاستقرار والحماية والأمن والوقاية من الأوبئة والسرور وتبادل الحب والرحمة، والسكينة الجنسية التي تحصل بين الزوجين بعد الثورة الجنسية التي تحصل بينهما، وإنجاب الأطفال الذين هم زينة الحياة وزهرتها"[13].

فالقرآن بين لنا أن الحكمة من خلق الأزواج هو السكينة بكل ما تحمله من معاني، من أهمها الاستقرار النفسي.

فالإسلام قبل أن يلتفت إلى المعطيات الخارجية بدأ بتهيئة النفوس السوية التي تنتج أطفالا تغمرهم الرحمات الربانية وتحفهم السكينة والراحة النفسية، ولم تكتف الآيات القرآنية بتهيئة النفوس بل اهتمت بالعواطف التي تسود بيوت المسلمين، وخصتها بعاطفتي المودة والرحمة، إن غابت إحداهما لأي سبب من الأسباب بقيت الأخرى، فما المودة وما الرحمة؟

ثانيا-المودة:

المودة عنصر نفسي أساسي في العلاقة الزوجية، فما تعريفها؟ وما مستوياتها؟ وما العلاقة بينها وبين الحب؟

1-تعريف المودة

أ-المودة لغة: من وَدَّ بمعنى أحب بينهم مَوَدَّةٌ مَحَبَّةٌ وَوِئَامٌ[14]

ب- المودة اصطلاحا: محبة الشيء، أو تمني كونه في الغالب[15].

وفي علم النفس: شعور بالانسجام بين شخصين أو أكثر ينبع من الاحتكاك الاجتماعي والعاطفي الدائم وقد تشير إلى التعبير العملي عن الحب.[16]

[13]. محمد الهلال: تفسير القرآن الثري الجامع 45/21.

[14]. ابن منظور لسان العرب مادة ودً

[15]- ينظر الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن ص 516 مادة ودد.

[16]. ينظر نور بير سيلامي: المعجم الموسوعي في علم النفس مادة مودة.

أما عن المودة بين الزوجين في اصطلاح علم النفس فهي: مجموعة سلوكيات وأفعال إيجابية تنتج بسبب وجود تفاعل اجتماعي بين الزوجين، فالمودة كما تخبرنا سهير الصلاح الخبيرة بشؤون الأسرة تجذب الحب وتحضره معها مع تكرار الأفعال والتصرفات والسلوكيات، فالاجتهاد في تحصيل أفعال تعجب شريك الحياة تقوي وشائج المحبة، بل كلما زادت أهمية الأفعال والسلوكيات للطرف الآخر بشكل مرغوب زاد الانجذاب والتقدير، إذن المودة هي الحضن الذي يبذر الحب ويرعاه حتى يترعرع في قلب بيت الزوجية، كلما أظهر أحد الزوجين الاحترام والتقدير والاهتمام، قويت وشائج المودة بينهما وكأنها كائن حي ينمو بالتدريج ويقوى بالتغذية السليمة ويتطلب رعاية دائمة[17].

المودة بين الزوجين من المقومات الأساسية التي تقوم عليها الأسرة الرسالية، فهي الرابط العاطفي العميق الذي يضمن دوام العلاقة واستقرارها، ويجعل من البيت بيئة ملائمة لتلبية الحاجات النفسية والعاطفية لكلا الزوجين. فالعلاقة الزوجية في الإسلام ليست مجرد عقد قانوني أو إطار تنظيمي، بل هي علاقة قائمة على عطاء متبادل بين أفرادها في كل نواحي الحياة، والمودة ليست فقط مشاعر عابرة، بل سلوك عملي يظهر في التقدير، والرفق، والكلمة الطيبة، والتجاوز عن الزلات، وهي مهمة لتحقيق التوازن النفسي للأزواج، وتوفير المناخ الآمن لتنشئة الأبناء. كما أن المودة تساهم في تخفيف ضغوط الحياة اليومية، وتدعم روح الشراكة بين الزوجين، مما ينعكس إيجابًا على وحدة الأسرة واستمراريتها. إن غياب المودة يؤدي إلى تصدع العلاقة، حتى وإن ظلت قائمة شكليًا، بينما حضورها يعزز من تماسك الأسرة ويجعلها قادرة على مواجهة كل التحديات.

2-مستويات المودة:

المودة لها مستويات عدة حسب دوافعها؛ المستوى الفطري الغريزي كمحبة الوالدين، والمستوى الاعتقادي وهو ما يقع في القلب كالمودة بين الزوجين، والمستوى العملي وهو ما يظهر في السلوك من تجسيد لتلك المودة[18]، وهي مستويات يصعب الفصل بينها، كما يصعب الفصل بين دوافعها في تلك المستويات.

[17] ينظر سهير الصلاح: مقال بعنوان المودة علاج البيوت التي لا تعرف الحب ص1.

[18] .ينظر عبد الله بن صالح الخضيري: مقال بعنوان المودة في القرآن الكريم دراسة موضوعية ص 235.

3-العلاقة بين المودة والحب:

من خلال ما سبق يتبين لنا أن هناك من فرق بين المودة والحب وفي لغتنا كل تغيير في المبنى يؤدي إلى تغيير في المعنى فالمودة تختلف عن الحب لكنها من أسبابه، كما أن الحب يقتضي إظهار المودة للشخص الآخر والتقرب منه، لكن المودة لا يُشترط معها الحب الذي يرتكز أساسا على المشاعر والعواطف.[19]

كما أن بعضهم عرف الحب بأنه المشاعر القلبية المتعلقة بالعاطفة والغزل وهو صفة نفسية منبعها القلب .أما المودة فهي التطبيق العملي لهذا الحب، فهي النتيجة النهائية لهذا الحب .فالحب هو السبب المؤثر في العلاقة التي تنتج عنها المودة[20]، والأسرة السليمة هي التي تقوم على هذين الأساسين معاً الحب والمودة.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ [الروم: 21]، حباً أولاً، فالمحبة تسبق المودة؛ أي: تتجلى آثار المحبة بالمودة فكل مودة محبة وليس كل محبة مودة، فالمودة تشمل المحبة الإخلاص والوفاء وغيرها من المظاهر[21].

وأنا أرى والله أعلم أن العلاقة بينهما متعلقة بالمستويات السابقة فما كان من مودة مصدرها فطري كعلاقة الآباء والأمهات بأبنائهم وعلاقة الأبناء بوالديهم فإن المحبة والمودة هنا تتطابقان وتنتجان قمة العطاء الوجداني، أما ما كان غريزيا بين الذكر والأنثى فإن العلاقة بينهما متعدية مطردة متكاملة وعكسية؛ فكلما وجدت المحبة وجد الود وكلما زادت المحبة زاد الود والعكس صحيح، وهذه العلاقة إذا وجدت تعدت الزوجين وانعكست على المحيط الخارجي للأسرة من أطفال وحتى أفراد العائلة الآخرين، وهي علاقة متكاملة إذا ظهرت هذه المشاعر من أحد الزوجين للآخر جرّت في غالب الحالات الطرف الآخر إلى نفس الأحاسيس ،طبعا بالعناية الربانية التي تحيط بالأسرة المسلمة لأن الحب والإخلاص والوفاء التي تسوق إلى المودة مشاعر متبادلة يحس بها الناس ونادرا ما يخطئونها.

[19]. ينظر سهير الصلاح: مقال بعنوان المودة علاج البيوت التي لا تعرف الحب ص2.

[20]. ينظر محمد علي يوسف: مقال بعنوان بين المودة والرحمة ص 1.

[21]. ينظر عبد الله بن صالح الخضيري: مقال بعنوان المودة في القرآن الكريم دراسة موضوعية ص 236.

ويوطد العلاقة بين الزوجين تدعمها بالمستويات الأخرى من مودة اعتقادية بأن يكون بينهما حب لله وفي الله، بأن يحبا الدين الذي اختاره الله لعباده ويحبا تقواهما لله وخوفهما منه وهو ما يرفع مستوى المودة بينهما إلى مستوى آخر هو مستوى الأسرة المتقية لله ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامٗا﴾ [الفرقان: 74]، إن العلاقة بيننا وبين رفيقنا في رحلة الحج أو العمرة تبقى علاقة روحية لا تنسى ولا تشبه أي علاقات أخرى نكونها في حياتنا، فما بالنا بمن يرافقنا في قيام الليل والتضرع لله والتقرب منه أو في الجلوس للذكر أو قراءة القرآن أو في التطوع بالصوم أو غيرها فإن هذا يزيد المودة بل ويرفعها إلى درجات تغمر المجتمع بأكمله بنفحاتها الإيمانية وبصلاحها الروحاني.

وتزداد المودة بينهما إذ سارت إلى مستوى أخر هو مستوى مودة المعاملات لبعضهما بحيث تجمع بينهما الأخلاق القرآنية التي ارتضاها لهما الله سبحانه وتعالى من صدق ووفاء وأمانة وغيرها من مكارم الأخلاق التي تستوجب الحب، قال رسول الله ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبعدكم مني وأبغضكم إلي مساوئكم أخلاقًا: الثرثارون المتشدقون المتفيهقون»[22] فإن الأخلاق الفاضلة الحسنة سبب من أسباب الحب بين الناس ومن أسباب القرب إلى النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، حتى أن المرء يحشر مع من يحب لأنه يحب سلوكاته وأفعاله، والمعاملة الحسنة بين الزوجين أكبر سبب للمحبة والاحترام ومنه المودة.

لكن الملاحظ في الحياة البشرية أن هذه المشاعر نسبية، تتغير بتغير الظروف والأزمنة والعمر، فإن تقلب القلوب وتغير الطباع من حدة ولين من طبيعة البشر، فكم من لين الجانب صار حادا لمرض أو كبر في السن أو غيره، وكم من حاد قاس لان بالزمان وبتودد أولاده إليه أو لمرض أضعفه أو غيره، فالمودة أمر نسبي متغير ولأجل هذا وغيره لم تكن عاطفة المودة وحدها هي السائدة في الأسرة، بل رافقتها مشاعر أعظم هي الرحمة.

[22]. حديث حسن، أخرجه الترمذي في الجامع مما رواه جابر ﷺ، باب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، 545/3، رقم 2018.

ثالثا-الرحمة:

من أهم الأسس النفسية التي أكدت عليها الآية القرآنية إلى جانب المودة الرحمة، فما تعريفها وما أهميتها؟

1- تعريف الرحمة

لمعرفة معنى الرحمة، نتتبع المعاجم اللغوية والكتب الاصطلاحية التي تحددها.

أ-الرحمة لغة: من رحم ومعناها الرأفة، واللين، والعطف والرقة والشفقة والمغفرة.

قال ابن فارس في مقاييس اللغة :"الراء والحاء والميم أصل واحد، يدل على الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه"[23] .

وقال ابن منظور "الرحمة في بني آدم عند العرب رقة القلب وعطفه، ورحمة الله، وإحسانه، ورزقه"[24]

ب-الرحمة اصطلاحا:

رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وتستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة عندما يتعلق الأمر برحمة الله، نحو رحم الله فلاناً، والرحمة صفة من صفات الله الذاتية والفعلية، فهو رحمن الدنيا والآخرة[25].

من هذه المعاني استمدت الرحمة بين الزوجين تَعْرِيفها، فهي رقة بين الزوجين ومشاعر تعاطف ورأفة ببعضهما، ولين الجانب منهما، وشفقة كل واحد منهما على الآخر ومغفرة ما يكون من أخطاء بينهما، ثم تقاسم كل هذه المشاعر مع من يحيط بهم في الأسرة من أطفال أو غيرهم.

هذه هي الصورة الصحيحة للأسرة المسلمة من بدايتها إلى نهايتها على كل حالتها من مرض وصحة وشباب وهرم في الحضر والسفر في حال الاتفاق والوئام أو الخلاف والافتراق وغيرها من ظروف تعتري الحياة الأسرية، هذه هي الأطر التي وضع القرآن البشر في إطارها ومن خرج عنها يكون خارجا عن حدود الله التي وضعها لعباده ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ [الروم: 21].

[23]. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة مادة رحم

[24]. ابن منظور: لسان العرب مادة رحم

[25]. ينظر الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن مادة رحم ص 191.

2- تجليات الرحمة في الأسرة

تظهر الرحمة في النصف الأخير من الحياة الزوجية على الخصوص، بعد كبر كل من الزوجين وحاجتهما لبعضهما، فعلى الزوج أن يرحم زوجته وعلى الزوجة أن تكون رحيمة بزوجها لأن الرحمة إذا فقدت من البيت أصبح أفراده كمن يعيشون في غابة يفترس القوي فيها الضعيف، ويكيد فيها الضعيف للقوي وهو خلاف ما سنه لنا نبينا وافترضه علينا ديننا.

وعلى الرحمة أن تتجلى أكثر عند الاختلاف بن الزوجين، فدون تغافل وتغافر ودون رأفة وشفقة ودون لين ورقة لا تستمر الحياة وإن استمرت فستخرج نماذج مريضة نفسيا مكلومة معقدة قاسية قلوبهم، أو ضعفاء منطوين وفي كل الحالات ناقمين على المجتمع بأكمله.

فالرحمة تشكل جوهر العلاقة الزوجية في الإسلام، وهي قيمة عليا تتجاوز المشاعر العابرة لتتحول إلى سلوك دائم يُعبَّر عنه بالعطاء، والتسامح، وتحمل الآخر، والحرص على راحته النفسية والجسدية، فهي عنصر أساسي لاستمرارية الحياة الزوجية على أسس إنسانية راسخة، إذ هي من يظهر في أوقات الضعف والمرض، وعند اختلاف الطبائع أو تضارب وجهات النظر، وهي ما يُبقي العلاقة متزنة حين تغيب مشاعر المودة.

3- أهمية الرحمة في الأسرة

إن وجود الرحمة بين الزوجين يُسهم في خلق مناخ أسري يسوده التفاهم والاحترام، ويعزز من قدرة الأسرة على تجاوز الخلافات والمحن. كما أن الأبناء الذين ينشؤون في بيئة يملأها الحنان والرحمة، يكتسبون بدورهم هذه القيم، مما ينعكس إيجابًا على سلوكهم وتوازنهم النفسي والاجتماعي. ومن هنا، فإن الرحمة تنشأ من الأسرة وتتخمر فيها لتغمر المجتمع بأكمله فيصبح راقيا بقيمه.

إذن فالأسس النفسية الثلاثة للزواج: السكينة، المودة، والرحمة، مهمة جدا في الحياة الأسرية للبلوغ إلى التفكر في الآيات والدلائل؛ الموصلة إلى عظمة الخالق وقدرته ووحدانيته والإيمان به، والتفكر في حكمته الجلية في أنفسنا وأسرنا، التي يجب أن ترافقنا طيلة حياتنا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم 21].

المحور الثاني: المقومات العقدية

أهم ما يصلح عقيدة الإنسان هو صلته السليمة بربه وهذا لا يكون إلا بتعليمه التوحيد والركائز الإيمانية منذ نعومة أظافره في أسرته وبترسيخ مفاهيم العبادة واليقين بالله والذي يكون منشأه الصلاة فكيف تناول الشرع هذا الموضوع وما الأهمية التي أولاها له؟

أولا: تعليم الأولاد الإيمان الصحيح

هذا واجب شرعي وأخلاقي، وهو الخطوة الأولى في بناء شخصية مسلمة سوية، تعرف الله، وتعبده عن علم ويقين، وتحصن نفسها من الفتن والانحرافات، وهذا ما نستقيه من تربية لقمان لابنه على العقيدة الصحيحة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]، أشارت هذه الآية المكية إلى ضرورة زرع الإيمان بوحدانية الله من الصغر حيث بدأ لقمان الحكيم تعليم ابنه العقيدة، فحذّره من الشرك، وبيّن له خطورته، وهذا يدل على أن أولى خطوات التربية الإيمانية تبدأ بغرس التوحيد في قلوب الأبناء، وهو ما قام به النبي ﷺ مع الصحابة رغم صغر سنهم فدعا عليا ﷺ إلى الإسلام وسنه صغيرة ، وبين لابن عباس أمور العقيدة وهو غلام صغير فمما رواه ابن عباس ﷺ أنه قال: «رَدَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَأَخْلَفَ بِيَدِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَقَالَ: " يَا غُلَامُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَرُفِعَتِ الصُّحُفُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ جَهِدَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ جَهِدَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كُتِبَ عَلَيْكَ»[26]، فهذا الحديث يبين اهتمام النبي ﷺ بالتأصيل للعقيدة الصحيحة في نفوس الأطفال الصغار، فبدأ النبي ﷺ بتعليم الإيمان والتوحيد لابن عباس وهو غلام صغير، مما يدل على أهمية تعليم الأبناء العقيدة منذ نعومة أظفارهم.

[26]. حديث صحيح، أخرجه الترمذي في الجامع باب صفة القيامة والرقائق والورع رقم 2516، عن ابن عباس ﷺ، 284/4، وأحمد في مسنده بلفظ مقارب في مسند عبد الله بن عباس، رقم 2669، 409/4.

ثانيا: التركيز على الصلاة في الأسرة

بعد أن أحاط ديننا الحنيف الأسرة بمشاعر تحفظ سلامتها النفسية انتقل إلى ضوابط إيمانية توطد علاقة العباد بربهم فركز على أهم رابطة بين العبد وخالقه وهي الصلاة، فما تعريف الصلاة؟

1-تعريف الصلاة

أ-الصلاة لغة: من صلى جمع صلوات بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُم﴾ [التوبة 103] أي ادعُ لهم، وقال النبي ﷺ: "إذا دُعي أحدكم فليُجِبْ، فإن كان صائماً فليصلِّ، وإن كان مفطراً فليطعم "[27]، أي فليدعُ بالبركة والخير والمغفرة.[28]

ب-الصلاة اصطلاح: عبادة لله ذات أقوال وأفعال معلومة مخصوصة مفتَتَحة بالتكبير مختَتَمة بالتسليم وسُمِّيت صلاة؛ لاشتمالها على الدعاء، فإنها كانت اسماً لكل دعاء، فصارت اسماً لدعاء مخصوص، أو كانت اسماً لدعاء فنقلت إلى الصلاة الشرعية؛ لما بينها وبين الدعاء من المناسبة، والأمر في ذلك متقارب، فإذا أطلق اسم الصلاة في الشرع لم يفهم منه إلا الصلاة المشروعة [29]

والصلاة من الله حسن الثناء، ومن الملائكة الدعاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب 56][30].

2-أهمية الصلاة في الأسرة

والملاحظ هنا أن المولى تبارك وتعالى أكد على دعيمة أساسية في الأسرة تحفظها من الفتن الداخلية والخارجية وتبين سر الإستخلاف والعمارة، ألا وهو عبادة الله التي بدورها هي سر السعادة وحفظ الكيان البشري من الاستئصال والزوال، والصلاة هي الوجه الظاهر للعلاقة بين العبد وربه وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر فهي سبب مهم في صلاح الفرد ومظهر أساسي من مظاهر صلاحه في الوقت ذاته، لذلك جاء الأمر الرباني في الأسرة بضرورة الأمر بالصلاة وتعويد الأبناء عليها، بل ومعاقبتهم إن تقاعسوا عنها لقوله ﷺ:

[27]. حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة رقم 1431 عن أبي هريرة 153/4.

[28]. ينظر إبراهيم مصطفى ومن معه: المعجم الوسيط مادة صلى.

[29]. ينظرعبد الرحمن الجزيري: الفقه على المذاهب الأربعة 160/1.

[30]. ينظر نفسه.

"مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناءُ سبعِ سِنِينَ، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عشرِ سِنِينَ، وفَرِّقُوا بينهم في المضاجعِ"[31]، والأمر بالصلاة لا يكون مرة واحدة بل يجب المثابرة والمواصلة على ذلك والصبر على الأمر به فقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ {طه: 132}، فجاء الأمر بالاصطبار وهو أكثر من الصبر فهو تحميل النفس فوق الصبر وإلزامه على التحلي بالصبر لمواجهة التقاعس عن الصلاة.

كما جاءت الآية السابقة لتقلب موازين العصر من انشغال عن الأولاد بحجة السعي وراء أرزاقهم، وتؤكد أن الاهتمام بسلامة عقيدتهم ودينهم وعلاقتهم بربهم أهم وقبل كل شيء فالرازق هو الله وما على العباد إلا التقوى وإصلاح علاقتهم بخالقهم وهو يرزقهم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا 2 وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا 3﴾ {الطلاق: 2-3}، وقال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ 56 مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ 57 إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ {الذاريات: 56-58}، بل أكثر من ذلك فقد جعل الله الزواج سبيل للرزق حتى لا ينشغل أحد بالرزق عن الطاعات قال الله سبحانه: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾{النور: 32}، وفي حديث الترمذي عن أبي هريرة .ﷺ. أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتِب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف"[32].

فالعناية بعبادة الله والاهتمام بتربية الأولاد تربية حسنة أولى من كل شيء وخاصة العناية بتحبيب الصلاة إليهم وإعانتهم على تكوين علاقة سليمة بالله يملأها الحب ولذة العبادة واستشعار النعم الربانية مما يجعل القلوب تشع بنور الهداية والصلاح فيكونوا ممن قال فيهم رسول الله .ﷺ.:" إن الله قال" من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها،

[31]. حديث حسن أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم 495، واللفظ له، 239/1، وأحمد (6756)

[32]. حديث حسن أخرجه الترمذي في الجامع باب المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم رقم 1655، رواه أبو هريرة، 288/3

ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه "[33] وأي سعادة أعظم من هذه السعادة وأي لذة خير من لذة أن نكون وأولادنا ممن يحبهم الله.

وعجبا لمن لا يهتم بالتربية الدينية لأولاده ولا بالرعاية النفسية لهم، بل ينساق حول تجميع الماديات وتأمين العيش الرغيد لهم، ثم يلومهم على تعاستهم وفسادهم وتبديد ما جمعه من أموال فيما فيه مضرتهم!

المحور الثالث: المقومات الاجتماعية

تكلمت الآيات المكية عن العناية النفسية ثم عن العقيدة الصحيحة للأسرة المسلمة، لتنبه الآيات المدنية عن الأحكام الإجرائية العملية في الأسرة اخترنا بعضا منها مما يشكل محورا أساسيا لنجاح البيوت واستقرار العلاقات الأسرية واستمرارها وهو ما يكون من خصوصيات الأسرة بكل تفاصيلها لقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ {البقرة: 187}

لم نقف على تعبير أفضل وأوجز للعلاقة الزوجية في صورها الاجتماعية من التعبير القرآني وهو اللباس فما التصور الذي أوصلته لنا هذه الآية؟ وما آداب التعاملات الاجتماعية في الأسرة؟ وما الحلول الإسلامية للخلافات الزوجية؟

أولا-اللباس:

وصف القرآن العلاقة الزوجية باللباس، فما تعريف اللباس وما خصائصه؟ وما المقومات الاجتماعية المستخلصة من معناه؟

1- تعريف اللباس

قبل الخوض في خصائص اللباس والمقومات المستنبطة منه، يجدر بنا الوقوف عند معناه في اللغة والاصطلاح.

أ- اللباس لغة: مأخوذ من لبس ويطلق على ما يستر الجسد أو غيره[34].

ب – اللباس اصطلاحا: كل ما يستر البدن ويتخذ للوقاية والزينة[35]

من هذا التعريف يتبين أن للباس خصائص يتميز بها، فما هي؟

[33]. حديث قدسي صحيح أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب التواضع رقم 6502، رواه أبو هريرة 105/8.

[34]- ينظر ابن منظور: لسان العرب مادة لبس.

[35]-ينظر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الموسوعة الفقهية الكويتية مادة لبس

2-خصائص اللباس

من خصائص اللباس المستخلصة من معانيه؛ السترة والتحمل والملازمة والوقاية والحماية وأحيانا الإثارة وفي بعض الحالات الفتنة وأحيانا الحشمة والعفة والحنان، التكامل والتناسق والطواعية، وهو الذي يمثل الصورة الذي يظهر بها الإنسان في المجتمع، كما له استعمالات خاصة لكل شخص حسب ظروفه، وغيرها من خصائص يتميز بها اللباس، وهذه كلها صفات للّباس تتميز بها العلاقة الزوجية ولا تعبير عنها أفضل من التعبير القرآني ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ فمن هذه الأوصاف للباس نستخلص بعضا من المقومات التي تتأسس بها الأسرة ومنها:

3- المقومات المستخلصة من اللباس

1-الستر: بين الزوجين من أهم أسباب الراحة النفسية واستمرار العلاقة بينهما فكلاهما واثق من شريكه بأنه لن يفشي ما يحدث بينهما وما يدور في أسرتهما من خصوصيات، لأنه إن فعل فهو مثل الشيطان كما عبر عنه الحديث النبوي، وهو ما يساء استغلاله من أطراف خارجية، فكم من زوجة تعرضت للخيانة من أعز صديقاتها بل وأحيانا أختها، وكم من زوج ضاعت منه زوجته وتشتتت أسرته لأنه حدث أصدقاءه بخصوصياته.

كما أن مشاركة أطراف خارجية في الحياة الخاصة لهما يعني تدخلهم في حياتهم، وهذا ما لا تحمد عقباه خاصة في حال الخلافات، فإن علمهم بها يعني الانكسار أمامهم، ويفتح المجال لتدخل عزة النفس والعناد وغيرها، مما لا يترك للود بقية ومما يفسد العلاقة الزوجية، وهو ما لا يساهم في إصلاح ذات البين، فلملمة خلافات الأسرة وحلها بين أفرادها أفضل بكثير من نشر غسيلها على الملأ.

2-التحمل والصبر: لولا الصبر والتحمل في العلاقة الزوجية لما قام للأسرة قائمة، ولما استمرت العشرة، لأن الحياة تختلجها نفحات مختلفة، تمر بالفرح والحزن بالغضب والحلم بالقوة والضعف العسر واليسر الغنى والفقر وغيرها مما قد يحيط بالأسرة من رخاء أو يعصف بها من شدة، أو يكون ملازما لها من اختلاف بين شخصيات الأزواج وأنماطها التفكيرية كأن يكون أحد الزوجين خجولا أو انطوائيا أو غيرها، مما لا يمكن تجاوزها إلا بالصبر والتحمل وتذكر المواقف الطيبة التي مرت بها الأسرة في ظروف مختلفة، وعدم كفران العشير لأن ذلك يفسد الود بين الزوجين وهو من أسباب الدخول إلى النار قال

رسول الله .ﷺ: "أُرِيتُ النَّارَ، فَرَأَيْتَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ-، قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ"[36].

3- الملازمة والدعم: لا تزهر الأسرة وينجح أفراده إلا بالدعم والملازمة والاستمرار، فمن يسعى إلى أسرة تقية تقر بها الأعين وترقى إلى مستوى الإمامة ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامٗا﴾ {الفرقان: 74} عليه أن يسعى لذلك ويبقى خلف أسرته ملازما لتذكيرها بالطرق السليمة، ودعم أفرادها في مشاويرهم ومشاريعهم المختلفة، ولا طريق أفضل لإصلاح الأسرة من دعمها في طريق القرآن.

4-الوقاية والحماية: كل أسرة مسلمة ناجحة تتعرض لهجومات من أعداء النجاح من المحيطين بهم، سواء من الداخل أو الخارج من الأقارب أو الأجانب من الأصحاب أو الجيران، من الأقران أو الزملاء أو غيرهم، ممن يحرضهم أبالسة الإنس والجن على الإفساد، فلا مَنجاة لهذه الأسرة إلا بوقاية وحماية بعضهم البعض وبتذكير بعضهم بضرورة الاعتصام بعروة الله الوثقى والاستنصار به سبحانه.

5-الإثارة والإغراء: عنصران مهمان لنجاح العلاقة الزوجية واستمتاع بعضهما ببعض، بل هما من حقوق أحد الزوجين على الآخر، لكن هذين العنصرين إن استخدما في خارج هذه العلاقة أصبحا خطرا محرقا للأسرة مدمر لها.

6-الحشمة والعفة: هاتان الصفتان نقيض ما سبقهما لكن موضعهما مختلف عن الآخر، فالإسلام حافظ على العرض، والحشمة والعفة، فكان من وسائل الحماية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ {الأحزاب: 59}

7-الحنان: مهم جدا في الأسرة؛ فما يحدث من خيانات أسرية إلا وجه من وجوه تسول الحنان من أطراف أخرى، لأنه مفقود في البيوت، فالإشباع العاطفي يتحكم في حسن سيرورة الحياة الزوجية والوفاء بين أفرادها من أزواج وأبناء وخاصة البنات.

[36]. حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان باب كفران العشير رقم 29، رواه ابن عباس ﷺ 15/1.

8-المحافظة على صورة الأسرة في المجتمع: مكانة الأسرة بين الأسر مسؤولية جميع أفرادها، وهذه المكانة لا تنال إلا بالتكاتف والتكافل والخوف على البعض والتناصح، وبالمشاعر الطيبة وبالتزام طريق الله وخاصة الدعاء.

9-تقاسم المسؤولية: لكل أسرة خصوصياتها وتركيبتها، ولكل فرد من أفرادها قدرات وطريقة تفكير تؤهله لمسؤولية من المسؤوليات وتحمل عبئ من أعباء الأسرة، فبعضهم يتخصص في العلاقات الاجتماعية، وبعضهم في تحصيل الأرزاق، وبعضهم إدارة المال وكنزه، وبعضهم في التربية والتعليم، وبعضهم بالعمل داخل البيت، وغيرها من الوظائف، لكن من المؤسف أن نرى كل هذه الأعباء والمسؤوليات على عاتق فرد واحد من أفراد الأسرة، لأن من أسرار النجاح تقاسم الأعباء وتحمل المسؤولية، قال رسول الله ﷺ: "كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ فالأميرُ الذي على الناسِ راعٍ عليهم وهو مسؤولٌ عنهم والرجلُ راعٍ على أهلِ بيتِهِ وهو مسؤولٌ عنهم والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بعلها وولدِهِ وهي مسؤولةٌ عنهم وعبدُ الرجلِ راعٍ على بيتِ سيدِهِ وهو مسؤولٌ عنهُ ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ"[37]

10-الشورى: من أسباب السعادة في الأسرة المسلمة الشورى في كل شيء، إذ صحيح أن القوامة فيها بيد الرجل، لكن هذا الأخير لا يكون مستبدا مستأثرا برأيه، بل يكون مستشيرا لأصحاب الرأي السديد مشاركا لهم في قراراته، مما يسهم في نجاح هذه القرارات ومباركتها قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38].

ولأهمية الشورى في حياة الأسرة ولسعادة الأبناء ركز عليها ديننا حتى في حال الفراق لضمان سلامة الأبناء وإحاطتهم بالرعاية اللازمة فقال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ {البقرة: 233}

[37]. حديث صحيح، متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستقراض باب العبد راع في مال سيده، رقم 2409، رواه عبد الله بن عمر 120/3، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل رقم 1829، 7/6.

إن الطلاق بين الزوجين لا يعني الطلاق بين الوالدين وأبنائهم، بل الأبوة والأمومة تبقى قائمة ومستمرة، كل منهما يرعى أبنائه حسب مسؤولياته التي لا تتغير بالطلاق، بل ربما تزيد لحاجة الأبناء النفسية للاهتمام أكثر، نتيجة ما يعانوه من تبعات الانفصال النفسية والاجتماعية، وفي كثير من الأحيان المادية أيضا.

11-التكامل والتناسق: فالزوج والزوجة كالشمس والقمر يتناوبان، لكن لا يستغني أحدهما عن الآخر، فهما يكملان بعضهما ما غفل عنه أحدهما تداركه الآخر، وما قصر فيه أحدهما استكمله زوجه، إن شد أحدهما أرخى الآخر، يمضيان في تناسق سننية الخلق في الزوجية في الكون، إن غاب أحدهما عوضه الآخر دون كلل أو تقصير، عطاء لا متناهي دون مقابل يرجى سوى إرضاء المولى تبارك وتعالى وتحصيل سعادة الدنيا والآخرة.

وإذا اختل هذا التكاتف والتعاضد اختل توازن الأسرة بأكملها فالمؤمنون كما بين الرسول . ﷺ . كالجسد الواحد حين قال:" تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وتَوادِّهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى"[38].

12-الطواعية والطاعة: كي لا يغرق المركب لبد له من ربان واحد يقوده، فلا يمكن لأسرة تتضارب فيها الآراء وتُتنازع فيها السلطات، وتتصارع فيها الأفكار وحتى العقائد أحيانا، أن يستقيم حالها ويسلم مآلها بل الخسارة قادمة إليها طال الزمان أو قصر، لأجل هذا لم يترك ديننا الحنيف الأمر للتسديد والتقريب بل حسمه بأن جعل زمام الأمور بيد الرجل لأنه أكثر حزما وعقلانية، فجعل القوامة بيده قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النساء: 34]، وهذه القوامة يجب أن تقابلها الطاعة، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ." إذا صلَّتِ المرأةُ خمسَها وصامَت شَهرَها وحفظت فرجَها وأطاعت زوجَها دخلتِ الجنَّةَ"[39] وفي رواية الدارقطني: "قيل: ادخُلي الجنَّةَ مِن أيِّ أبوابِ الجنَّةِ شِئْت"[40]، وقال: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرًا من زوجة صالحة، إنْ أمرها أطاعَتْه، وإن نظر إليها سرَّته، وإن أقسم عليها أبرَّته، وإن غاب عنها نصحَتْه في نفسها وماله"[41].

[38]. حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم رقم 6011 رواه النعمان بن بشر، 10/8، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم2586، 20/8.

[39]. حديث إسناده ضعيف أخرجه البزار في البحر الزخار، كتاب النكاح باب حق الزوج على الزوجة رقم الراوي أنس بن مالك، 14/46.

[40]. حديث إسناده ضعيف، أخرجه الدارقطني في علله كتاب النكاح باب طاعة المرأة لزوجها، الراوي عبد الرحمن بن عوف، رقم 581.

[41]. حديث إسناده ضعيف، أخرجه ابن ماجه في ضعيفه، كتاب النكاح باب حق الزوج على المرأة رواه أبو أمامة الباهلي، رقم 1857.

13-حسن الاختيار: نختم كلامنا بالحديث عن قضية تُعدّ في الأصل الأولى ترتيبًا، غير أنّنا أخّرنا تناولها قصد إبراز معايير الاختيار في ضوء ما تقدّم، بما يمكّن الأزواج من تحديدها بدقّة، استنادًا إلى أسس سليمة، بعيدًا عن مجرّد الأهواء والميول، لأننا نعيش واقعا خطيرا يحتاج إلى وعي كبير، لا يسلم فيه إلا من كان ممن ترضون دينه وخلقه، وممن كانت ذات دين كما جاء في الحديثين، فهذا سبب مهم لنجاح العلاقات الزوجية واستمرارها وصلاح الأولاد، إذ نعيش في زمن كثرت فيه المفسدات (الهواتف النقالة) حيث صارت تعيش بيننا وبين أيدي أزواجنا وأولادنا، دخلت بيوتنا دون استئذان وأصبحت أقرب إليهم منا، وهم أكثر تعلقا بها من تعلقهم بالحياة ذاتها، فنسأل الله الثبات والصلاح والعفاف والتقوى لنا ولأسرنا ولكل المسلمين في كل مكان، لأجل هذا كانت المشاركة بين زوجين واعيين بخطورة الوضع ضرورة تفرضها الرسالة التي يحملانها.

هذه بعض من خصائص اللباس ولو تعمقنا لأحصينا غيرها لكننا نكتفي بأهمها وأكثرها خدمة للأسرة.

هذه جوانب مهمة من الجوانب الاجتماعية في الأسرة، لكن الأسرة لا تتكون دائما من الزوجين فقط بل ينظم إليها في أغلب الحالات الأولاد وهم يجتمعون في نسق متآلف على شكل نظم من اللؤلؤ يزيد بعضهم بعضا جمالا وبريقا، مما يستوجب روابط أخرى هي علاقة الأولاد بالوالدين وعلاقة الوالدين بأبنائهم، فما الآداب التي تحكم هذه المعاملات؟

ثانيا- آداب التعامل بين الوالدين والأبناء

الشريعة الإسلامية السمحة نظمت العلاقات ووضعت الحدود وأعطت كل ذي حق حقه، ففرضت للوالدين الإحسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني لين الجانب والمعاملة الحسنة في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا 23 وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23-24] وفي قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: 36] وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا

تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151] في كل هذه الآيات جاء الإحسان إلى الوالدين مقرونا بعبادة الله وعدم الشرك به سبحانه، وهذا ما يبين عظم مكانة الإحسان إليهما، ليس هذا فقط، بل بينت الآيات أن الوالدين عند كبرهما يصبحان بحاجة إلى رعاية خاصة، لا يتخللها تضجر أو تأفف أو انتهار، مهما كانت أعمالهما بل يقابلان بالقول الكريم والرحمة والدعاء.

هذا كله حصاد ما بذره الوالدان مع أولادهما من رحمة بهما وحسن معاملتهما وحتى ملاعبتهما، فقال نبينا الكريم .عليه أفضل الصلاة والتسليم " ليسَ منَّا من لَم يَرحَمْ صغيرَنا، ويعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا"[42] فالرحمة بالصغار من شيم المجتمع المسلم، مما يغرس رحمة في قلوبهم تُجنى ثمارها عند كبرهم بمن يحيط بهم من المسنين، ويجعلهم عارفين بحق كبارهم، وهو ما أكده الرسول المربي .ﷺ .بسلوكه قبل أفعاله مع من استنكر عليه تقبيله للصغار بأن بين له أن ذلك من انعدام الرحمة في قلبه فقد روي أنه جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَما نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَوَ أَمْلِكُ لكَ أنْ نَزَعَ اللَّهُ مِن قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ!"[43]

ثالثا- علاج الخلافات الزوجة:

قد تتعرض بيوت المسلمين للخلافات وتبدل المشاعر، وصار هذا الأمر دارجا في وقتنا مفضيا للانفصال إما عاطفيا، أو الطلاق البات وكثر مؤخرا الطلاق بالخلع، وهو مما يحطم البيوت ويشتت الأسر ويعقب الندامة في أغلب الحالات، لأجل هذا رغب المولى تبارك وتعالى في التمهل والتأني والنظر السليم وأمر بحسن العشرة فقال ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 19]، لأن الخيرية بعلم الله سبحانه وتعالى، فقد يجعلها فيما نكره، فلأجل هذا على المرء أن يتأنى في أموره ومن ذلك الاستشارة والاستخارة.

[42] .حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي في سننه كتاب آداب المجلس باب فضل الكبير رقم 1920، رواه جد عمرو بن شعيب 479/3.

[43] .حديث صحيح متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم 5998، روته عائشة ﷺ 7/8، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك رقم 2317، 77/7.

كما كان العلاج الرباني لنوع آخر من المشاكل في الأسرة، بالتأني والتدرج والنظر إلى ما يصلح حالها، بعد أن ذكر النساء الصالحات بمكانتهن وضرورة خروجهن من هذا الموقف لأنهن يختلفن عن غيرهن، وذكر الرجال أيضا بأن النساء لسن سواسية في المعاملة فمن كان صلاحها وطاعتها وحفظها للغيب باديا تختلف عن غيرها من عامة النساء اللواتي يفتعل المشاكل بأن قال فيهن: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾، ثم واصلت الآية الكريمة بيان كيفية التعامل في حال المشاكل العارضة بقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا 34 وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا 35 ﴾ [النساء: 34-35] لقد رسمت الآية الكريمة منهجا ربانيا في التعامل مع النفوس البشرية تدرجت فيه طرق المعاملة من الأخف إلى الأشد من اللين إلى ابداء جدية الموقف وخطورة عواقبه؛ وهذا التدرج لاختلاف الطبائع البشرية والمشاعر الإنسانية وحتى المناطق السكنية، فجاءت مرتبة كما يلي:

1-الموعظة الحسنة: في كثير من الأحيان تكون الخلافات بسبب سوء تفاهم يزول بالحوار وتوضيح الأمور، فالموعظة الحسنة تعزز ثقافة الحوار وتبادل الآراء، فإن كان الخلاف متعمدا فبعض التذكير بالصواب أو بخطورة الوضع وبسوء عواقبه قد يجدي نفعا مع النفوس الطيبة، خاصة إذا لامس المشاعر وكانت الموعظة صادقة، لكن هذا مرهون بطبيعة البشر ومستواها الفكري وحتى الثقافي، ويرتبط بطبيعة المشكلة التي أدت إلى النشوز، لكن كم من موعظة لا تجدي نفعا مع الشخصية العنيدة أو المتكبرة أو المتمردة فيلجأ الزوج إلى خطوة يكون التصعيد فيها أكثر كي تفهم الزوجة خطأها.

2-الهجران في الفراش: كي تحس الزوجة بعدم رضى شريك حياتها عن سلوكها رغم وعظه لها، فلبد من بيان أن الموقف خطير ويحتاج إلى حل جذري يقتلع الأفكار التي تتقلب في ذهنها بالبعد عنها مع ما يتحمله هذا البعد من تهديد بالاستغناء والاستبدال وفضح الموقف، وهو ما يجعل المرأة الفطنة تتدارك الموقف وترجع عن خطئها، لكن كما قلنا النساء معادن، ومن هؤلاء ما لا يجدي معها نفع سوى العنف فيلجأ الزوج إلى:

3-الضرب غير المبرح: عندما نقول الضرب نقول معناه التقريعي الذي يكون بشروط شرعية وضعها العلماء لمن لم ترجع عن خطئها وهي تقود أسرتها إلى التشتت ولم تترك سبيلا لزوجها غير هذا لأن بعض النساء لا يفهم خطورة الوضع إلا بالضرب نتيجة تربيته أو حتى بيئته، وعندما نقول هذه الحلول العلاجية للمشكلة فإننا نغلب جانب أن يكون الزوج على صواب وله من الوعي ما يتحكم به في تقدير الحل المناسب والوقت المناسب، إن رأى أن هذا الحل مناسب ويصلح الأمور فعلا فليست كل النساء تضرب، بل إن منهن من ضربها يعني انتهاء العلاقة الزوجية عندها.

فلأجل هذا على الزوج أن يكون حذرا وحكيما في مداواة الجراح، إن لم يكن كذلك فقد خرج ممن يخاطب بهذا الخطاب ولم يدخل في الخيرية التي قال عنها رسول الله ﷺ.: "خيرُكم خيرُكم لأهلِه، وأنا خيرُكم لأهلي"[44] فيكون بذلك تعيسا لأن من أسباب السعادة المرأة الصالحة قال رسول الله ﷺ: " مِن سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة؛ مِن سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء"[45] لكن رغم كل المحاولات من الزوج لحل المشكلة تبقى بعض النساء مصرة على موقفها اعتقادا منها بصحته، فالحل حينها يكمن في الاستعانة بأطراف حيادية خارجية تلم الشمل وتذيب الجليد.

4-الاستعانة بالحكماء ممن يريدون الإصلاح: لأن الموقف قد يتحول إلى الأسوأ إن كان العكس، أما إن كانت رغبتهم جمع الشمل وإصلاح ذات البين بشرط أن يكون كل واحد منهما من جهة حتى لا يتحيزا لأحد الطرفين فإن كلامهما سيكون مسموعا ويلقى قبولا بتوفيق من الله سبحانه وبإذنه.

[44]. حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي في جامعه باب المناقب عن رسول الله ﷺ وباب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رقم 3895 الراوية عائشة ﷺ 188/6.

[45]. حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده، مسند سعد بن أبي وقاص رقم 1445، الراوي جد سعد بن أبي وقاص، 55/3.

المحور الرابع: المقومات المالية

لم يترك ديننا الحنيف الجانب المالي في الأسرة للصدفة وسوء التسيير بل ضبطه بضوابط تحسم كل الخلافات المتوقعة فما النظرة القرآنية للذمم المالية بين الزوجين؟ وما الحلول لهذه الإشكالات؟

أولا: الذمة المالية في الأسرة

أكثر الخلافات في وقتنا الحالي قائمة على الماديات والرواتب الشهرية، يطمع الزوج في أغلب الحالات بالاستيلاء على ممتلكات زوجته وراتبها ويرى أحقيته في ذلك بحجة أو أخرى أغلبها أنه سمح لزوجته بالخروج من بيت الزوجية لتقوم بأعباء أخرى غير خدمته هو وأولاده، وحتى إن لم تخرج الزوجة فإنه يرى أن هذا الوقت الذي تقوم فيه بعمل آخر هو من حقه، بل أكثر من ذلك فإن بعض الأزواج يجبر زوجته على العمل رغم رفضها من أجل الماديات، ومنهم من يشترط من البداية زوجة عاملة.

وترى الزوجة بالمقابل أحقيتها هي وأولادها في كل ما يملك الزوج، لأنهم أولى بذلك، فهو مسؤول عنهم وكل راتبه يجب أن ينفقه عليهم.

هذه الخلافات وغيرها حسمها شرعنا بأن فصل الذمم المالية للزوجين، وبين من البداية أن الإنفاق من مسؤولية الرجل ونبه على ذلك منذ انطلاق الحياة الزوجية بأن افترض مهرا للزوجة يحسس فيه الرجل بهذه المسؤولية وحذر من استباحة أخذه، بل جعل أخذه دون رضاها بهتانا وإثما مبينا فقال: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا 20 وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: 20-21] وقال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: 34]، كما أن حياة النبي ﷺ مع زوجاته بينت أنه لم يستول على أموال إحدى زوجاته وإن كانت من الأغنياء كأمنا خديجة رضي الله عنها.

كما أن أمهات المؤمنين وزوجات الصحابة لم يحجرن على أزواجهن ولم يمنعنهن من الإنفاق على غيرهن والتصدق، بل وتجهيز الجيوش فالرجل حر كالمرأة في التصرف في ماله، لكن مع فارق أنه هو المسؤول على إعالة أسرته والإنفاق عليها للأفضلية التي آتاه الله إياها.

ومما يساهم في استقرار الأسرة ماليا مقومات أخرى منها:

ثانيا: القناعة والرضا بعطاء الله

فالقناعة بما قسم الله لعباده قيمة مهمة في الأسرة المسلمة والرسالية خصوصا، وعليه فإن من المقومات المالية في ديننا أن نرضى بكل ما جاء من الله وأن نسعد بما بين أيدينا حتى وإن كان قليلا لأن العبرة في هذه الدنيا هي عبادة الله أما المتعة فهي في الآخرة قال تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: 131]، وهذا لا يؤتاه إلا من كان قانعا بما قسمه له الله راض بمنحه إياه قال رسول الله .ﷺ.: "قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بما آتَاهُ"[46]، لكن هذا لا يمنع من السعي المأمور به وتحصيل المال واستعماله فيما يرضي الله، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف لكن مع مراعاة الاعتدال في الإنفاق.

ثالثا: البعد عن الإسراف والترف

لأن ذلك مما يفسد الحياة ويعرض لنقمة الله قال عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: 16]، فالتبذير مهلك للأسرة والمجتمع، لأن المبذرين إخوان الشياطين.

رابعا: المال وسيلة وليس غاية

على الأسرة المسلمة أن تدرك قيمة مهمة، وهي أن المال وسيلة لعبادة الله، لا الهدف من الوجود، بأن يصبح الناس عبادا للماديات، فيصبحوا بذلك تعساء، قال رسول الله .ﷺ. "تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ، والدِّرْهَمِ، والقَطِيفَةِ، والخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ"[47]وبذلك يكون من أهم أسرار السعادة إخراج الماديات من النفوس.

خامسا: الزهد في الدنيا

بجعلها في أيدينا لا في قلوبنا، من أسرار نجاح الأسرة المسلمة، وهو ما سار عليه نبينا الكريم وأزواجه وهو ما خلدته الآيات الكريمات في أفضل نموذج حين اختارت أمهات المؤمنين الدار الآخرة والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله ورسوله:

[46].صحيح أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب في الكفاف والقناعة رقم 1054 ، الراوي عبد الله بن عمرو بن العاص 102/3.

[47].صحيح أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله رقم 2887، الراوي أبو هريرة /34.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا 28 وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: 28-29]، وهو ما تبعه فيه أصحابه ﷺ من بعده، فيروى عن عمر بن الخطاب. ﷺ. أنه قال: "إِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَبُوسَ الحَرِيرَ"[48] وهذه دعوة لترك الدنيا خلف ظهورنا والإقبال على الآخرة ونعيمها.

المحور الخامس: المقومات الأخروية

اهتم الإسلام بالأسرة المسلمة، وركز على حسن الخاتمة الذي فيه الفوز في معركة الحياة، فما الحلول القرآنية للأسرة إلا سبيل للنجاة في الآخرة، فما المقومات التي نتمسك بها كي نفوز؟

أولا: الموعظة والتحذير من النار

بعد أن أسست الآيات السابقة للناحية النفسية والعقدية وللمعاملات السليمة التي تضمن سعادة الأسرة في الدنيا وحل الخلافات التي قد تعترض طريق سعادة الأسرة في الدنيا، وحل الإشكالات المالية التي تنغص عليها وتشغلها عن عبادة خالقها، جاء الاهتمام بسعادتها في الآخرة في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]

هذه الآية الكريمة بدأت بتعزيز الرقابة الذاتية لدى أفراد الأسرة ثم وجهت أنظارنا إلى مشهد رهيب يقع يوم القيامة نارا متقدة بالناس والحجارة، هولها عظيم لا يمكن الفرار منها، فخزنتها ملائكة يتصفون بالغلظة والشدة، وهم منصاعون لأوامر الله، ولا يفعلون إلا ما يؤمرون به، فالموقف مفزع ولا نجاة منه إلا بشيء واحد؛ هو الرجوع إلى الله في الدنيا قبل مجيء هذا اليوم المخزي، ولأن الله كريم وبعباده رحيم، حذرهم من هذا اليوم، وخاطب من يؤمن بضرورة النجاة، يقول سيد قطب: "إن تبعة المؤمن في نفسه وفي أهله تبعة ثقيلة رهيبة . فالنار هناك وهو متعرض لها هو وأهله، وعليه أن يحول دون نفسه وأهله ودون هذه النار التي تنتظر هناك. إنها نار فظيعة متسعرة وقودها الناس والحجارة... الناس فيها

[48] .صحيح أخرجه مسلم في صحيحه كتاب اللباس والزينة باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، رقم 2069،الراوي عمر بن الخطاب ﷺ 140/6.

كالحجارة سواء. في مهانة الحجارة وفي رخص الحجارة، وفي قذف الحجارة. دون اعتبار ولا عناية وما أفظعها نارا هذه التي توقد بالحجارة! وما أشده عذابا هذا الذي يجمع إلى شدة اللذع المهانة والحقارة! وكل ما بها وما يلابسها فظيع رهيب عليها ملائكة غلاظ شداد. (تتناسب طبيعتهم مع طبيعة العذاب الذي هم به موكلون) .لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . . (فمن خصائصهم طاعة الله فيما يأمرهم، ومن خصائصهم كذلك القدرة على النهوض بما يأمرهم... وهم بغلظتهم هذه وشدتهم موكلون بهذه النار الشديدة الغليظة. وعلى المؤمن أن يقي نفسه وأن يقي أهله من هذه النار. وعليه أن يحول بينها وبينهم قبل أن تضيع الفرصة ولا ينفع الاعتذار. فها هم أولاء الذين كفروا يعتذرون وهم عليها وقوف، فلا يؤبه لاعتذارهم، بل يجابهون بالتيئيس."[49]

فأهم دور لأفراد الأسرة في هذه الدنيا هو حماية أنفسهم وأهاليهم من العذاب الأليم قدر استطاعتهم وبإذن الله تعالى فقد قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56] .

ثانيا: التوبة النصوح

سياق الآيات يضيف أمرا مهما، هو ضرورة التوبة والرجوع إلى الله، فكل ابن آدم خطاء قال الرسول . ﷺ : "كلُّ بني آدمَ خطّاءٌ وخيرُ الخطائينَ التوابونَ"[50] جاءت الآيات الكريمات بعد هذه الآية لتبين أن العلاج الدنيوي العاجل قبل فوات الأوان هو الرجوع إلى الله والندم على الذنب والإقلاع العاجل عنه والاستغفار منه قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ (6) يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (7) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَاغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8)﴾ [التحريم 6-8]،

[49]. سيد قطب: في ظلال القرآن 3608/6.

[50]. حديث حسن أخرجه الترمذي في جامعه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع رقم 2499، الراوي أنس 273/4..

فالآيات كما هو واضح بينت ضرورة التوبة والتعجيل بها لخطورة الدخول إلى النار ولأن نعيم الجنة لا يقاوم.

من كان يسعى لأرضاء الله فإن تحصنه بأسرته وتحصينه لها من واجباته، كي ينعم بأسرة مستقرة تحفها السكينة وتغشاها المودة والرحمة وترعاها تقوى الله وتتقوت على مائدة الإيمانيات لتكون حضنا يرتمي فيه الأولاد ويتحنن به الإخوة والأخوات، طاردة كل الفتن والنزاعات والقلاقل والشكوك المريبة التي يبثها الشيطان لينخر البنيان الأسري من الداخل فيجعل من الأسرة مجرد مأوى للنوم يعيش فيه كل فرد في عالم افتراضي خاص به، إن لم يكن فيه استباحة لعلاقات محرمة وصلات خليعة.

أقول في الختام إن بناء الأسرة الرسالية مسؤولية عظيمة، تتطلب وعيًا بالمنهج الرباني وحرصًا على تطبيقه في كل تفاصيل الحياة الأسرية، فعلى الأسرة أن تربي أبناءها على حب الله ورسوله، وتغرس فيهم القيم الإيمانية والإنسانية، وهي بذلك تسهم في صناعة أجيال قادرة على حمل الرسالة وإيصال الناس إلى بر الأمان، ولذا فإن الرجوع إلى القرآن والسنة ليس خيارًا بل ضرورة، لنصل بأسرنا ومجتمعنا إلى سعادة الدنيا والآخرة، ونحقق الغاية الكبرى من وجودنا: عبادة الله وحده.

خاتمة:

يجدر بي القول في ختام الكلام بعد تتبع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، إن الأسرة الرسالية تشكِّل اللّبنة الأساسية في بناء المجتمع الرسالي الناجح، بصلاحها يصلح المجتمع، فيها يُرعى الأبناء وتُغرس القيم الفضلى، المستقاة من الوحي الذي ارتضاه لنا خالقنا، لترسخ مبادئ الإسلام في الواقع المعاصر، فالأسرة التي تتبع تعاليم دينها المستوحاة من الكتاب والسنة تنشئ جيلا واعيا بمسؤولياته، قادرا على مواجهة التحديات المختلفة في ظل ما يشهده العالم من تحولات في شتى المجالات، وهذا ما يستوجب العودة إلى الوحي والاقتداء بالنموذج المحمدي في بناء الأسرة المؤمنة الفاعلة القادرة على إحداث التغيير نحو الأفضل، وقد بيّنت لنا النصوص كيف رعت هذا النموذج من جميع الجوانب، وأصّلت له مقوّماته من مختلف النواحي، وهو ما استنبطناه من القرآن والسنة، حيث توصّلنا إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

1- الأسرة في الإسلام أصلها ومنشأها زوج وزوجة، ذكر وأنثى.

2- الرابطة التي تتكون بها الأسرة في الإسلام هي الزواج.

3- يشمل مفهوم الأسرة في الإسلام كذلك ما يضم الوالدين (الأجداد) والأولاد.

4 - الأسرة الرسالية هي التي تؤدي وظائفها على وعي برسالتها الإيمانية والتربوية لتخرج أفرادا صالحين مصلحين.

5- مقومات الأسرة هي الأسس التي تنبني عليها، ويتحقق بها وجودها واستمرارها واستقرارها.

6 - تنوعت المقومات التي تقوم عليها الأسرة، ركزنا على المقومات النفسية والاعتقادية والاجتماعية والمالية والأخروية.

7- تُعَدّ السكينة والمودّة والرحمة من أهمّ الدعائم النفسية التي تقوم عليها الأسرة، بها يتحقّق استمرارها واستقرارها.

8 - يعد ترسيخ الإيمان الصحيح والتركيز على الصلاة أهم المقومات العقدية للأسرة.

9- لخص القرآن الكريم العلاقة الزوجية في جانبها الاجتماعي بعبارة ليس لها مثيل وهي "اللباس" بما تتضمنه من خصائص.

10- من المقومات الاجتماعية المستخلصة من العبارة السابقة: الستر- التحمل والصبر- الملازمة والدعم – الوقاية والحماية – الإثارة والإغراء – الحشمة والعفة – الحنان –

المحافظة على صورة الأسرة ومكانتها – تقاسم المسؤولية وتحملها – الشورى – التكامل والتناسق – الطواعية والطاعة – حسن الاختيار.

11- يحكم الأسرة حسن التعامل والأدب.

12- تعتبر رحمة الوالدين بأبنائهم وملاعبتهم وتقبيلهم من أهم المقومات الاجتماعية.

13- الإحسان للوالدين وخفض الجناح لهما من أهم الأسس في الأسرة.

14 - عالج الوحي الخلافات الزوجية بالتدرج من الموعظة الحسنة والهجران في الفراش إلى الضرب غير المبرح والاستعانة بالحكماء.

15- من أهم المقومات المالية في الإسلام استقلال الذمم المالية، القناعة والرضا، البعد عن الاسراف والتبذير والترف، ترسيخ فكرة أن المال وسيلة وليس غاية والتأكيد على ضرورة الزهد في الدنيا.

16- أما مقومات نجاة الأسرة في الأخرة فهي الموعظة والتحذير من النار والتوبة النصوح والرجوع إلى الله.

التوصيات:

نوصي في النهاية بضرورة العناية بالأسرة، بوصفها الحاضنةَ الأولى للقيم الرسالية، وذلك من خلال مجموعةٍ من التدابير، منها:

- العمل على إدراج برامج تربوية أسرية ضمن المسار التعليمي في جميع الأطوار، بحيث تُراعى خصوصيةُ كل مرحلةٍ عمرية .

- إعداد الزوجين عبر دوراتٍ تكوينيةٍ إجباريةٍ قبل الزواج، يشرف عليها متخصصون في المجال .

- سنُّ قوانينَ تُعزِّز حمايةَ الأسرة، وتُلزم بالرجوع إلى متخصصين في العلاقات الزوجية قبل الطلاق .

- إنشاءُ هيئةِ حكماء تتكوّن من متخصصين في إصلاح ذات البين، تُشكَّل على مستوى المساجد مثلًا .

أقول في الأخير: إن أصبتُ فمن الله، وإن أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله التوفيقَ والثباتَ والسدادَ.

قائمة المصادروالمراجع:

أ- الكتب

1. أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار صادر، بيروت (لبنان)، ط.2، 1410هـ/ 1990م.
2. الألباني، محمد ناصر الدين بن نوح (ت 1420هـ)، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط.1، 1414هـ
3. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله (ت 256هـ)، الأدب المفرد، دار طوق النجاة، بيروت (لبنان)، 1990م.
4. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله (ت 256هـ)، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق (سوريا)، ط.2، 1442هـ/ 2021م.
5. البزار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي، أبو بكر (ت 292هـ)، البحر الزخار (مسند البزار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، دار الفكر، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
6. بكار، عبد الكريم بن بكار (ت 1446هـ)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، دار القلم، دمشق (سوريا)، ط.1، 1418هـ
7. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة السلمي، أبو عيسى (ت 279هـ)، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
8. الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض (ت 1360هـ)، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط.2، 1424هـ/ 2003م.
9. الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي، أبو نصر (ت 393هـ)، الصحاح في اللغة (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، ط.4، 1410هـ/ 1990م.
10. الحاكم، محمد بن عبد الله بن أحمد النيسابوري، أبو عبد الله (ت 405هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
11. حوى، سعيد بن محمد حوى (ت 1409هـ)، جند الله: ثقافة وأخلاقًا، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط.1، 1407هـ/ 1987م.
12. الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد البغدادي، أبو الحسن (ت 385هـ)، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
13. الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد البغدادي، أبو الحسن (ت 385هـ)، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط.2، 1424هـ/ 2003م.
14. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، أبو داود (ت 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
15. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
16. الزبيدي، مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني، أبو الفيض (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، 1414هـ/ 1993م.
17. الزحيلي، وهبة بن محمد (ت 1433هـ)، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دار الفكر، دمشق (سوريا)، 1420هـ/ 2000م.
18. سعد، محمد بن سعد بن الحسين، أبو عبد الله (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار صادر، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
19. سيد قطب، محمد سيد (ت 1386هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة (مصر)، 1410هـ/ 1990م.

20. سيلامي، نوربير (ت 1999م)، المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة: وجيه أسعد، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق (سوريا)، ط.1، 1421هـ/ 2000م.
21. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إسماعيل، أبو بكر (ت 235هـ)، المصنف في الحديث، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الفكر، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
22. الطبراني، سليمان بن أحمد بن سليمان، أبو القاسم (ت 360هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الحرمين، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
23. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسن (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: مصطفى عبد الغني، دار الفكر، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
24. القرضاوي، يوسف بن عبد الله القرضاوي (ت 1444هـ)، فقه الدعوة إلى الله، مكتبة وهبة، القاهرة (مصر)، ط.1، 1419هـ
25. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ط.1، 1427هـ/ 2006م.
26. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، أبو عبد الله (ت 751هـ)، مدارج السالكين، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار عطاءات العلم، دمشق (سوريا)، 1420هـ/ 1999م.
27. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة (مصر)، ط.4، 1425هـ/ 2004م.
28. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله (ت 273هـ)، السنن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
29. مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، ط.1، 1415هـ/ 1995م.
30. ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت (لبنان)، ط.2، 1414هـ
31. النسائي، أحمد بن شعيب بن علي النيسابوري، أبو عبد الله (ت 303هـ)، السنن الكبرى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، 1410هـ/ 1990م.
32. نوربير سيلامي، المعجم الموسوعي في علم النفس، ترجمة: وجيه أسعد، دار الكتاب العربي، القاهرة (مصر)، 1422هـ
33. الهاشمي، محمد علي بن حسن الحسني (ت 1443هـ)، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، دار البشائر الإسلامية، بيروت (لبنان)، ط.1، 1419هـ/ 1999م.
34. الهلال، محمد بن عبد الله الهلال (ت 1437هـ)، تفسير القرآن الثري الجامع، دار ابن حزم، بيروت (لبنان)، ط.1، 1433هـ/
35. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، دار المناهج، الكويت – الكويت، ط.1، 1423هـ
وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط.2، 1984م.

ب -المقالات

عبد الله بن صالح الخضيري، المودة في القرآن الكريم- دراسة موضوعية، 31 :ديسمبر 2018م، مجلّة أبحاث – جامعة الحديدة، ع. 12، ص282–234 : الموقع: مجلة أبحاث (موقع الجامعة)
: https://ojs.abhath-ye.com/index.php/OJSABAHATH-YE/article/view/197

ج -المواقع

1- سهير الصلاح ، لمودة.. علاج البيوت التي لا تعرف الحب، تاريخ النشر 10يناير 2023م في مدونات موقع الجزيرة نت.الموقع: الجزيرة نت(blogs) : الرابط https://www.aljazeera.net/blogs/2023/1/10/ :
2- محمد علي يوسف : بين المودة والرحمة، الموقع / Islamway :طريق الإسلام:
الرابط https://ar.islamway.net/article/92124/ :